نصوص قديمة

نهج البلاغة

نَهجُ البَلاغَةِ: هوَ مَجمُوعةٌ شهيرةٌ من خطبٍ، ورسائلٍ، وتفاسيرٍ، وروايات منسوبةٍ إلى الإمامِ عَليّ بنُ أبي طالِب (عليه السلام). جمعها الشريف الرضي . فنهج البلاغة معروفٌ لفصاحةِ محتواهِ، ويُعُدُّ تحفةً أدبيةً وقيمةً بلاغيةً فضلا عن ما يحتويه من مواعظ دينية وارشادات سياسية واجتماعية .

اهتم المسلمون على مرّ التاريخ بكتاب (نهج البلاغة) ، وكتبوا عليه شروحاً وتعليقات ومستدركات تعد بالعشرات ،بل أصبح كتاب (نهج البلاغة) ومتعلقاته مكتبة كاملة . وأغلبها هذه الشروح حبيس المكتبات ، ولا يزال أغلبها مخطوطات لم تر النور بعد ، ومن أهم الشروح المتداولة التي يستفيد منها الباحث في مطالعته لكتاب (نهج البلاغة):

معارج نهج البلاغة للبيهقي:

من أقدم شروح (نهج البلاغة) المتوفّرة الآن ، **وكان قريب العهد للشريف الرضي وبالتالي تكون نسخته من أضبط النسخ وأصحها.** إلا أنه **لم يشتهر بين الناس ، وبقي متداولاً في دائرة ضيقة حتى أنه خفي على ابن أبي الحديد ، ولم يطلع عليه،** والذي يلاحظ عليه أنه اكتفى بالإشارة ، ولم يستوف الشرح ، وكأنه

يخاطب مجموعة من العلماء المتخصَّصين ، **فالشرح في مجمله نخبوي، وليس لعامة الناس .**

منهاج البراعة للرواندي:

من المصنّفات القديمة في شرح كتاب (نهج البلاغة)، ويتميز هذا الشرح بأمرين:

الأول : أنه قريب عهد بالشريف الرضي مما يجعلنا نثق أكثر بضبط النسخة .

الثاني : أن هذا الشارح كان معروفاً بأنه جامع للفنون كلها ، فهو فقيه ، ومتكلّم ، ومحدَّث ، ومؤرَّخ ، وأديب ، وشاعر، فلم يترك علماً إلا ونجد له بصمة فيه ، وهذا ما يجعل شرحه أكثر جامعية من غيره ؛ لتضلعه في كل هذه الفنون .

شرح ابن أبي الحديد المعتزلي:

يعدُّ هذا الشرح من أشهر الشروح على الاطلاق ، حيث انتشر وشاع بين الناس ، بحيث يتصوَّر البعض أنه لا شرح لنهج البلاغة سوى شرح ابن أبي الحديد ؛ لكثرة ما يُحتج بأقواله ، ويستدل بكلامه في الكتب والمصنّفات .

شرح محمد عبده:

هو من أعلام العصر الحديث، كان مفتياً للديار المصرية من سنة ١٨٩٩ م الى وفاته في سنة ١٩٠٥ م ، **شرح نهج البلاغة شرحا مقتضباً** ، بحيث **لم يتوسع في**

تبيان مطالب الكتاب، وقد **ركّز الشيخ محمد عبده على شرح الألفاظ الصعبة والعبارات المغلقة ، وقلما يتعرض إلى مسألة عقدية أو تأريخية في شرحه .**

موضوعات كتاب نهج البلاغة :

اشتمل الكتاب على عددٍ كبيرٍ من الخطبِ والمواعظَ والعهودِ والرسائلَ والحكم والوصايا والآداب، متوزّعةً على ٢٣٨ خطبة، و٧٩ رسالة و٤٨٩ قولًا. اشتملت مواضيع الكتاب: معارفَ التوحيدِ، نصائحَ ومواعظَ، بيانًا للأحداث السياسية، وعهودًا للولاة وتنبيههم. بعد مقدمة قصيرة، يضع المؤلف كلام الامام علي عليه السلام في ثلاثة أقسام: الخطب والكتب والحكم، مضيفًا إليه توضيحات مختصرة.

الكتاب مؤلف من أربعة أجزاء:

الجزء الأول: مقدمة الشريف الرضي ويشرح فيها سبب جمعه للكتاب وملخص الكتاب.

الجزء الثاني: خطب أمير المؤمنين وفيه مجموعة من الخطب التي ألقاها الإمام علي على الناس.

الجزء الثالث: كتب أمير المؤمنين وفيه فحوى بعض الكتب والرسائل التي ارسلها الإمام علي إلى عماله في الأمصار أو أعدائه.

الجزء الرابع: حِكَم أمير المؤمنين وفيه مقتطفات من كلام الإمام علي وحِكَمِهِ ووصاياه.

قال أحمد حسن الزّيات :« ولا نعلم بعد رسول الله فيمن سلف وخلف أفصح من علي في المنطق، ولا أبلّ منه ريقًا في الخطابة، كان حكيمًا تتفجر الحكمة من بيانه، وخطيبًا تتدفّق البلاغة على لسانه، وواعظًا ملأ السمع والقلب، ومترسلًا بعيد غور الحجة، ومتكلمًا يضع لسانه حيث يشاء، وهو بالإجماع أخطب المسلمين وإمام المنشئين .»

قال محمد عبده:« وليس في أهل هذه اللغة إلاّ قائل بأنّ كلام الإمام عليّ بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيّه، وأغزره مادّة، وأرفعه أُسلوبًا، وأجمعه لجلائل المعاني.»

عهد امير المؤمنين لمالك الأشتر

مالك بن حارث الأشتر :

مالك بن الحارث النخعي المشهور بالأشتر (توفي ٣٧ هـ، ٦٥٧ م) هو تابعيٌّ كوفي من مقاتلي العرب. وسبب تلقبه بالأشتر أنه ضربه رجل يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قَيْحًا إلى عينه فشترتها وأحياناً يذكر في كتب التاريخ أو السير مختصراً باسم مالك بن الأشتر. كان زعيماً في قومه ومن أعيانهم في الجاهلية،

هاجر من اليمن إلى الكوفة في سنة ١٢ أو ١٣ للهجرة كان خطيباً مفوّهاً، شاعراً فصيحاً، جواداً حليماً، فارساً شجاعاً شديد البأس، وكان يجمع بين اللين والعنف، فيسطو في موضع السطوة، ويرفق في موضع الرفق. ولاه علياً (عليه السلام) على مصر، فسار إليها حتى إذا بلغ القلزم، شرب شربة عسل مسموم فمات عام ٣٧هـ.

سمات العهد :

إن عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر يعد من جملة مآثره، وهو **أطول عهوده، يحتوي على القواعد والأصول التي تتعلق بالقضاء وإدارة الحكم في الإسلام، والتضامن الاجتماعي ، والتعاون الإنساني، وحسن الإدارة والسياسة وبيان الخراج وأهميته، والنظر في عامرة الأرض وصلاح البلاد،** وأثر الصناعة والتجارة في حياة الأمة . ويعد هذا العهد أقدم وثيقة تاريخية لحقوق الإنسان وهو من أنفس الوثائق الزاخرة بمبادئ الحكم وأساليب الإدارة وأصول التشريع وأخلاق المسؤولين.

نص العهد :

المقطع الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما أمر به عبد الله عليٌ أميرُ المؤمنينَ مالكَ بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها. أمره بتقوى الله

وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه. وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويَزَعُها عند الجَمَحَات، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله) .

في النص المتقدم قوله (ويَزعُها عند الجَمَحَات) جعلها اولى من استعمال الألفاظ (يكفها، يمنعها ، ينهاها) . فلفظة (يزعها) تدل على الكف والمنع ويشمل المنع المادي والمعنوي . كقوله تعالى : (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) فهو حشر مادي ومعنوي لطاعة نبي الله سليمان من الجن والطير .أما المنع فخلاف الاعطاء فهو من الماديات كقوله تعالى : (وَيَمنَعُونَ المَاعُونَ) . أما النهي فهو من المعنويات كقوله تعالى : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ) .

وفيها أيضا (ويَزعُها عند الجَمَحَات) استعارة مكنية حيث شبه الإمام نفس الانسان بالفرس عندما تجمح بفارسها ، أي تخرج عن طاعته ، ثم حذف المشبه به (الفرس) وأبقى على لازمه من لوازمه وهي (الجماح) .

استعمل الإمام لفظة (الجَمَحَات) للتعبير عن خروج النفس عن حدها الطبيعي وهي من الجموح فهل يمكن استبدال لفظة (الطموح) بها لأداء المعنى ذاته؟ قد يرد اللفظان بمعنى واحد معجميا يقال: جمحت المرأة فهي جامح طامح بمعنى نشزت وطمح الفرس تطميحا: رفع يديه. غير أن مشتقات الجذرين (جمح وطمح) تشترك في معنى الخروج عن الشيء، فإذا كان خروجا عن المألوف سّمي جماحا، نحو امتناع الفرس عن طاعة فارسها، وهو خروج عن الحالة

الطبيعية أما الطموح فهو خروج عن مستوى ما إلى أعلى منه، فيستعمل في جمال النفع والإيجاب.

المقطع الثاني :

(ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم. وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحبت أو كرهت.)

نجد أسلوب التقديم والتأخير في قوله : (جرت عليها دولُ) إذ قدم الجار والمجرور (عليها) على الفاعل (دولٌ) ، وكذلك نجد هذا الأسلوب في قوله : (فليكن أحبَّ الذخائر إليك ذخيرةُ العملُ الصالحِ) ، إذ قدَّم خبر كان (أحبَّ) على اسمها (العملُ الصالح) .

ونجد الطباق وهو أحد فنون البديع في قوله : (ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور) وقوله أيضا : (فإن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحبت أو كرهت.) وهو طباق ايجاب جاء كأسلوب لتوضيح المعنى وتأكيده .

وفي قوله : (أني قد وجهتك إلى بلاد) مجاز مرسل فلفظة بلاد جمع كجمل جمال وجبل جبال، والكلام عن مصر وهي بلد واحد وليست جمعا فأطلق الجمع وأريد به المفرد، وهذا مجاز مرسل بعلاقة الكلية ففي قوله هذا عّبر عن مصر البلد المعروف بأجزائه وهي ما يشتمل عليه

من المدن والقرى للتأكيد على كونه مسؤولا عن هذا البلد (مصر) بكل أجزائه، فالبلد بلد بمدنه وقراه وسائر ثغوره.

المقطع الثالث :

(وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك. وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم. ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته.

ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير.

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفئ إليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال) .

ذكر الإمام لفظتي الزلل والخطأ في قوله: (يفرط منهم الزلل... ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ) فما الفرق بينهما؟ كلا اللفظتين بمعنى مجانبة الصواب، غير أن الخطأ لا يلحظ فيه سوى تعدي الصواب ومجاوزته إلى غيره ، اما الزلل فيلحظ معه سبب مجانبة الصواب، فهو خطأ يجرُّ صاحبه إلى كبيرة ومصيبة أعظم ، وفي الغالب يكون السبب غير إرادي ، أي بتهيئة

الظروف الخارجية المحدثة للزلل، فالأصل فيه قولهم: زلت قدمه في الطين: انزلقت، فالطين سبب للوقوع والانغماس فيه . وقد يكون الزلل في اللسان، وذلك بأن تسقط السقطة ولا يريدها، ولكن تجري على لسانه بفعل التسرع تشبيها بالماء الزلال العذب ؛ لأنه يزل عن ظهر اللسان لرقته . والملاحظ أن الخطأ والزلل يقعان سهوا لا عمدا .

قال الامام (عليه السلام) : (فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه) ، هناك فرق في دلالة العفو والصفح . فالعطف بين الالفاظ يدل قطعا على المغايرة بينها، وقد ذكر اللغويون الفرق بين (العفو والصفح) في معرض التفاتهم لتوضيح هذين اللفظين ، فذكروا أن (العفو) هو إسقاط للعقوبة من دون إسقاط الذنب، فمن عفا عن أحد فقد امتنع عن العقوبة مهما كانت إلا إن المؤاخذة على الذنب لا تسقط بل تُحجبُ تفضلا منه واختبارا لهم . أما(الصفح) فذكروا أنه: التجاوز عن المذنب تماما بترك مؤاخذته وعقابه، وأصله من إبداء صفحة جميلة من الوجه، فالصفح أعلى من العفو .

وذكر الإمام : (ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة) ، يمكن القول إن الألفاظ الثالثة: (بدر، سرع، سبق) تأتي تباعا، والمعنى الجامع لها هو الحركة المنتظمة نحو نقطة الختام، فبداية الحركة هو البدر، لذلك يقال: بادر إلى الشيء بمعنى أول شروعه فيه، ويبدو أن البدر سمي بذلك لأنه أول ضياء القمر، قال تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا) فكلمة بدار، مصدر بادر الدال على المشاركة، فهي تدل على النهي عن تسابق أولياء أمور اليتامى إلى أكل مال اليتيم قبل أن يدرك الحُلم، فالبدار هو ابتداء أكل مال اليتيم، وهذا هو المعنى اللغوي لأن بدر يدل على أول الحركة.

اما السرعة فتأتي بعد المبادرة، وهي خلاف البطء، يعني الانتظام في ميدان سباق قبل بلوغ نقطة الختام، قال تعالى : (وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ) ، اشتركوا في السرعة حتى إذا وصل أحدكم إلى نقطة النهاية قيل له سابق، فالسابق إلى الشيء الذي تقدم على مجموعته في بلوغ الهدف، فالسباق هو بلوغ نقطة الختام .

اما العجلة فهي حركة عشوائية بلا هدف ولا نقطة ختام لذا غلبت في موارد الذم وسمي العجلُ عجلا لحركته الهائمة بلا هدف، وسميت الوالهة من الابل التي فقدت وليدها عجول

اما المندوحة تعني الفسحة ورخصة والسعة ، يقال أرض مندوحة أي واسعة وبعيدة ،(ليس له مندوحة من الأمر) ، أي: ليس له منه فسحة أو رخصة . (لاَ مَنْدُوحَةَ لَكَ عَنْ هَذَا العَمَلِ: لاَ غِنىً لَكَ عَنْهُ) . و (لك عن هذا الأمر مندوحة) : يمكنك تركه والميل عنه. وهذا ما قصده الامام في قوله : (ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة).

قال الامام (عليه السلام) : (فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق) ، ظهر في قوله أسلوب التقسيم؛ و **التقسيم هو استيفاء المتكلم أقسام الشيء بحيث لا يغادر شيئا، وهو آلة الحصر والاحاطة بالشيء، سماه الزمخشري (التفصيل)، وهو أسلوب بلاغي يتطلب خبرة ويحتاج إلى ملكة لغوية** ، وهذا تقسيم عام للإنسانية يجعل الناس كلهم على اختلاف ألوانهم وأديانهم تحت مسمى الرعية والحاكم مسؤول عن ضامن أمنهم، فهم في شراكة عادلة يتناصفون قسمين : أخوة الدين والشبه في الإنسانية.

الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع :

هو عبد الله بن المقفع، فارسي الأصل، وُلِد في قرية بفارس اسمها جور ، كان اسمه (روزبه بن داذويه)، وكنيته «أبا عمرو»، فلما أسلم تسمى بعبد الله وتكنى بأبي محمد نشأ ابن المقفع على المجوسية على مذهب المانوية وكان له نشاط في نشر تعاليمها وترجمتها إلى العربية . أسلم على يد عيسى بن علي، فتغير اسمه لعبد الله وتكنى بأبي محمد، ولم تطل فترة إسلامه إذ قتل على يد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بإيعاز من المنصور مُتَّهماً بالزندقة، سنة (١٤٢هـ) حيث كانت مبررات قتله على أنه زنديق من الفئة التي تتظاهر بالإسلام مراءاة وخداعاً. ولكن ليس في آثار ابن المقفع ما يدل على زندقته، ولم يكن هنالك دليل مادي يوجه اتهامات إليه لإثبات زندقته وتبرير قتله، بالرغم من ذلك فإن احتمالية كونه زنديقاً بعد إسلامه أمر محتمل، فيشير بعض المؤرخين بأن اسلامه ما كان إلا ليحافظ على كرامته وطمعاً في الشهرة والجاه وتقرباً إلى مواليه العباسيين.

مؤلفاته :

لابن المقفع مؤلفات كثيرة حيث جمع أدب الفرس إلى أدب العرب ، ويعد ابن المقفع أول من عنى بترجمة كتب المنطق حيث ترجم للخليفة العباسي المنصور كتب (ارسطو طاليس) الثلاثة في المنطق(**المقولات** ، **و العبارة** ، **والقياس**) من البهلوية إلى العربية، وكتاب (**المدخل إلى علم المنطق**) وترجم من الفارسية كتاب (**كليلة ودمنه**) هو كتابٌ هندي يعتبر أقدم كتاب عربي منقول في الأخلاق وتهذيب النفس، وقد ألّفه الفيلسوف الهندي بيدبا لملك الهند دبشليم عندما بغى واستكبر بعد استلامه للعرش، والكتاب عبارة عن مجموعة قصص ذات

طابع يرتبط بالحكمة والأخلاق، ومعظم شخصياته من الحيوانات . فضلا عن كتاب **(الأدب الصغير وكتاب الأدب الكبير وكتاب الدرة اليتيمة)** وغيرها من المصنفات .

كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع

توطئة :

قد يُعتقد لأول وهلة أن كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع يتحدث عن الأدب بنوعيه الشعر والنثر، ولكنه ليس كذلك. إنما هو كتاب في الأدب بمعناه اللغوي، يتحدث عن الآداب والسلوكيات التي يجب أن يُؤدب بها الإنسان نفسه في بعض مواقف الحياة.

وهذا الكتاب يشتمل على عبارات وحكم وعظات نقلها لنا ابن المقفع عن مختلف الشعوب مثل الفرس والهند، والأخيرة تحديداً مشهورة بالحكمة والحكماء.

كما وضع في هذا الكتاب خلاصة تجاربه والنصائح التي يود تقديمها لكل من يقرأ كتابه؛ وهو من الأدباء الذين شُهد لهم بالأدب الجم، والخلق القويم.

لذا نجد أن كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير مليئًا بالحكم الصادرة عن مجرب، وعارف بالحياة، ومطلع على الكثير من الثقافات.

كتاب الأدب الصغير :

إنّ كتاب الأدب الصغير لابن المقفع هو كتاب صغير الحجم لكنّه مليء بالفوائد ويزخر بالنصائح العامة للقارئ، وقد صرح ابن المقفع في بداية كتابه بعدة أمور، فهو في الكتاب يدعو قارئ كتابه إلى مُحاسبة نفسه وتأديبها، فقد كانت محاسبة النفس طريقة قديمة عند الهنود

لترويض نفوسهم، كما يشجع ابن المقفع قارئ كتابه على طلب العلم ويشوقه لذلك، ويدعوه إلى اكتساب العادات الحسنة وينهاه عن الاعتداد بالنفس ويحذره من الأخلاق السيئة، كما يتحدث ابن المقفع عن فضل الأدب والأخلاق والمال والأصدقاء، وعن واجبات المرء، والسلطان والوالي، وعن كيفية التعامل معهم عند صحبتهم، ويفسر ابن المقفع موضوع كتابه فيقول: (وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب وصقالها، وتجلية أبصارها، وإحياء للتفكير، وإقامة للتدبير، ودليلاً على محامد الأمور ومكارم الأخلاق إن شاء الله).

موضوع الكتاب :

١–الكتاب يُعد رسالة اجتماعية دينية نفسية قصيرة في ثلاثين صفحةٍ،

٢–نقل فيها من كلام السابقين من الحضارات السابقة واختار من كلامهم ما يُناسب الذائقة العربية والدين الإسلامي،

٣– تنوعت موضوعات الرسالة فتحدث عن مواضيع دينية كالتقوى، وأدب طلب العلم وآداب الطالب والمُعلم.

أسلوب ابن المقفع في كتابه:

نوّع المؤلف بين الأساليب، واستخدم ملكته اللغوية العالية التي عُرف بها:

١– كانت وصاياه موجزة ولم يستطرد إلا نادراً،
٢– طغى على الكتاب الطابع المنطقي، ووُجِدت فيه الكثير من المعاني الفلسفية،
٣– ضمّن كتابه بعض الحكم والأقوال التي ضمّنها في كتابه كليلة ودمنة،

٤-لابن المقفع أسلوب خاص به، هو السهل الممتنع, وإننا نجد في هذا الأسلوب أفكارًا متسقة, وقوة منطق، وألفاظًا سهلة، فصيحة منتقاة، قوية المدلول على المعاني، ونجد فيه من البلاغة أرفع درجاتها،

كتاب الأدب الصغير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن المقفع:

أما بعدُ، فإنَّ لكلِّ مخلوقٍ حاجةً، ولكلِّ حاجةٍ غايةً، ولكلِّ غايةٍ سبيلًا. والله وقَّت[١] للأمورِ أقدارَها، وهيأ إلى الغاياتِ سبُلَها، وسببَ[٢] الحاجاتِ ببلاغِها.

فغايةُ الناسِ وحاجاتِهم صلاحُ المعاشِ والمعادِ[٣]، والسبيلُ إلى دَرْكِها[٤] العقلُ الصحيحُ، وأمارَةُ[٥] صحةِ العقلِ اختيارُ الأمورِ بالبصرِ[٦]، وتنفيذُ البصرِ بالعزمِ.

---

١ وقَّت: حدد وقتًا.

٢ سبب: أوجد.

٣ المعاش, والمعاد: الحياة الدنيا، والآخرة.

٤ دَركها: إدراكها.

٥ أمارة: علامة.

٦ البصر: أي البصر في الأمور، العلم بعواقبها.

التحليل:

نجد فن (التقسيم) موجود في قوله:(فإنَّ لكلِّ مخلوقٍ حاجةً، ولكلِّ حاجةٍ غايةً، ولكلِّ غايةٍ سبيلًا) من خلال تقسيمات تحدد الطريق الأمثل للوصول إلى الهدف الذي يبتغيه كل إنسان فحاجة الإنسان هي الهدف لا يمكن الوصول إليها إلى عن طريق الغاية (الغرض) والغاية لا تتحقق إلا عن طريق السبيل (الوسيلة) الذي يوصلنا إلى الغاية ومنه تتحقق الحاجة وهذا التركيب اللغوي يتمثل في فن من فنون البديع الذي عرفة البلاغيون بقولهم: هو أن يُذكر متعدد، ثم يضاف إلى كل من أفراده ما له على جهة التعيين وهذا ما نجده في النص المذكور.

كما نجد التكرار في النص نفسه بتكرار الألفاظ (حاجة، غاية) وجاءت على سبيل التوكيد اللفظي ، والتكرار أحد فنون علم المعاني في البلاغة العربية الذي يُخرج المكرر إلى معان عدة منها التوكيد وهو ما نجده في النص، ونلاحظ فيه تتداخل الفنون فيما بينها فالتكرار الذي هو من علم المعاني قد خدم النص كله الذي يعد من علم البديع .

الأدب ينمي العقول

وللعقولِ سجياتٌ وغرائزٌ [١]، بها تَقْبَلُ الأدبَ، وبالأدبِ تنمى العقولُ وتزكو.

فكما أنَّ الحبةَ المدفونةَ في الأرضِ لا تقدرُ أنْ تخلعَ يَبَسَهَا، وتُظهِرُ قوتَها، وتَطلُعَ فوقَ الأرضِ بزهرتِها ورَيعِها [٢]، ونضرَتِها ونمائِها، إلا بمعونةِ الماءِ الذي يغورُ إليها في مُستودَعِها، فيُذهبُ عنها أذى اليبسِ والموتِ، ويُحدثُ لها بإذن اللهِ القوةَ والحياةَ، فكذلك سليقةُ [٣] العقلِ

١ السجيات، الواحدة سجية: الطبيعة والخلق، الغرائز، الواحدة غريزة: الطبيعة.

٢ ريعها: نموها.

٣ السليقة: الطبيعة.

مكنونةٌ في مَغرَزِها من القلبِ: لا قوةَ لها، ولا حياةَ بها، ولا منفعةَ عندها، حتى يَعتَمِلَهَا (٤) الأدبُ، الذي هو ثمارُها، وحياتُها، ولقاحُها.

وجلُّ الأدبِ بالمنطقِ، وجلُّ المنطقِ بالتعلمِ، ليس منه حرفٌ من حروفِ معجمِهِ، ولا اسمٌ من أنواعِ أسمائهِ، إلا وهو مرويٌ، مُتعلَّمٌ، مأخوذٌ عن إمامٍ سابقٍ، من كلامٍ أو كتابٍ.

وذلكَ دليلٌ على أنَّ الناسَ لم يبتدِعوا أُصولَها، ولم يأتهم علمُها إلا من قِبَلِ العليمِ الحكيمِ.

فإذا خرجَ الناسُ من أن يكونَ لهمْ عملٌ أصيلٌ، وأنْ يقولوا قولاً بديعًا، فليعلمِ الواصفونَ المخبئونَ أنَّ أحدَهُم، وإنْ أحسَنَ وأبلَغَ، ليسَ زائدًا على أنْ يكونَ كصاحبِ فصوصٍ [٥]؛ وجدَ ياقوتًا، وزبرجدًا ومَرجانًا، فَنَظَمَهُ قلائدَ وسموطًا [٦] وأكاليلَ، ووضعَ كلَّ فصٍ مَوضِعَهُ، وجَمعَ إلى كلِّ لونٍ شِبْهَهُ، وما يَزيدُهُ بذلكَ حُسْنًا، فسمّيَ بذلك صانعًا رفيقًا، وكصاغةِ الذهبِ والفضةِ، صنعوا منها ما يُعجِبُ الناسَ من الحليّ والآنيةِ، وكالنحلِ وجدتْ ثمراتٍ أخرجَهَا اللهُ طيبةً، وسلكتْ سُبُلاً؛ جعلها اللهُ ذُلَلاً [٧]، فصارَ ذلكَ شفاءً وطعامًا، وشرابًا منسوبًا إليها، مذكورًا بها أمرُها وصنعتُها.

فمن جرى على لسانِهِ كلامٌ يَستحسِنُه, أو يُسْتَحسَنُ منهُ، فلا يَعجبنَّ إعجابَ المخترعِ المبتدِعِ، فإنَّهُ إنَّما إجتباهُ كما وصفنا.

٤ يعتملها: يعملها.

٥ الفصوص، الواحد فص: ما يركب في الخاتم من الحجارة الكريمة.

٦ السموط، الواحد سمط: الخيط ما دام الخرز أو اللؤلؤ منتظمًا فيه.

٧ ذللًا، الواحد ذلول: السهل.

تنويه:

يقول ابن المقفع: (فمن جرى على لسانِهِ كلامٌ يَستحسِنُه، أو يُسْتَحسَنُ منهُ، فلا يَعجبنَّ إعجابَ المخترعِ المبتدِعِ، فإنَّهُ إنَّما إجتباهُ كما وصفنا). لم يكن ابن المقفع موفقا في هذا الكلام، فهو يرى في كتابه (الأدب الصغير) أنه لا فضل لمبدع أو مبتدع لقولٍ أو صورة فنية أدبية، إنما الفضل لمن سبقهم من المخترعين للمعاني ، وقد جعل ابن المقفع هذه المعاني معانٍ أصلية ، وأما الجديدة فهي معان مأخوذة من القديمة لا فضل لصاحبها سوى انه جمعها وأعاد ترتيبها في قالب جديد . وهذا الكلام غير صائب لأن المعاني كما ذكرها الجاحظ (مطروحة في الطريق يعرفها العربي والأعجمي) لذا فإن الفضل كل الفضل لمن يعيد صياغة هذه المعاني في قالب جديد مُبتدَع يحمل أفكارا جديدة تولد منها بفعل خيال الكاتب وقريحته الإبداعية.

الأدب الكبير :

قسَّم ابن المقفع كتابه إلى قسمين وهما **السلطان والصداقة،** وقد تحدث في موضوع السلطان عن أمور مهمة منها ما يتعلق بالسلطان نفسه أو ولي الأمر، كما ذكر الآداب التي يجب التحلي بها عند معاملة السلطان.

وأما الصداقة؛ فقد بدأ الكلام فيها بقوله :(ابذل لصديقك دمك ومالك) ، وتحدث عن ضرورة الاستماع الجيد وخفض الصوت، وعدم تسفيه رأي الجلساء، كما ذكر مجموعة من الصفات التي يجب التحلي بها كختام لهذه الرسالة.

وهو يفيد في وصاياها من أقوال السلف القدماء ومعنى ذلك أن الرسالة **إما نقل عن القدماء مما قرأه في الأدب الساساني السياسي والأخلاقي، وإما استنباطات وصل إليها على**

هديهم. وهو يستهل رسالته بالحديث عن أصول الأدب ويريد به التهذيب الخلقي والاجتماعي والسياسي، ثم يورد بعض الوصايا لمن يتقلد شيئاً من أمور السلطان وينصحه فيما يتولاه أن يرضى ربه ومن فوقه من أصحاب السلطان ومن تحته من صالحي الرعية. ويسترسل ابن المقفع في مثل هذه الوصايا للوالي، ويتحدث عن صحبة السلطان وواجباتها وآدابها وكذلك صحبة الولاة والحكام، ثم ينتقل إلى الصديق والصداقة، ويصور الخلال التي ينبغي أن يتصف بها في رأيه الصديق الحق حتى ليرى من واجب الصديق على الصديق أن يبذل ماله ودمه وأن يلقاه بالتواضع والحياء وأن يمد له يد العون في الشدة، ويستطرد إلى الحديث عن جار السوء وجليس السوء، كما يستطرد إلى الحديث عن العدو وما ينبغي من استعمال الدهاء معه والعمل على القضاء عليه أو اجتنابه والبعد عنه، ويفيض في الأخلاق الحميدة والأخلاق السيئة التي تنفِّر الناس من صاحبها فضلا عن الصديق.

أسلوب كتاب الأدب الكبير:

١-استخدم ابن المقفع الأسلوب الخطابي المحض.

٢-أكثر من استخدام الأمر والنهي.

٣- ابتعد عن الأسلوب المنطقي الصرف. مما جعل هذا الكتاب أسهل من الأدب الصغير.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن المقفع:

إنَّا وجدْنَا الناسَ قبلنا كانوا أعظمَ أجسامًا، وأوفرَ مع أجسامِهم أحلامًا [1]، وأشدَّ قوةً، وأحسنَ بقوتِهم للأمورِ إتقانًا, وأطولَ أعمارًا, وأفضلَ بأعمارِهم للأشياءِ اختبارًا.

فكانَ صاحبُ الدينِ منهم أبلغُ في أمرِ الدينِ عِلمًا وعَملًا من صاحبِ الدينِ مِنَّا، وكانَ صاحبُ الدنيا على مثلِ ذلكَ من البلاغةِ والفضلِ, ووجدناهُم لم يَرضوا بما فازوا به من الفضلِ الذي قُسِمَ لأنفُسِهِم حتى أشركونا معهم في ما أدركوا من علمِ الأولى والآخرةِ ، فكتبوا به الكتبَ الباقيةَ، وضربوا الأمثالَ الشافيةَ، وكَفوْنَا به مؤونةَ [2] التجاربِ والفِطَنِ.

وبلغَ من اهتمامِهمْ بذلكَ أنَّ الرجلَ منهمْ كانَ يُفتَحُ لهُ البابُ من العلمِ، أو الكلمةِ من الصوابِ، وهو في البلدِ غير المأهولِ، فيَكتُبُهُ على الصخورِ؛ مُبادرةً للأجلِ، وكراهيةً منهُ أنْ يَسقُطَ ذلك عمَّنْ بعدَهُ.

---

١ الأحلام، جمع حِلم بالكسر: العقل.

٢ المؤونة: الثقل, والشدة.

فكانَ صَنيعُهُمْ في ذلكَ صَنيعُ الوالدِ الشفيقِ على وَلَدِهِ [٣]، الرحيمِ البرِّ بهم، الذي يَجمعُ لهم الأموالَ، والعُقَدَ [٤]؛ إرادةَ ألَّا تكونَ عليهم مؤونةٌ في الطلبِ، وخشيةَ عَجزِهِمْ، إنْ هم طلبوا.

فمُنتهى عِلمُ عَالِمِنَا في هذا الزمانِ أنْ يأخذَ من علمِهِمْ، وغايةُ إحسانِ مُحسِنِنَا أنْ يَقتدِي بسِيرَتِهم.

وأحسنُ ما يصيبُ من الحديثِ مُحَدِّثَنَا أنْ ينظرَ في كُتُبِهِمْ، فيكونُ كأنَّهُ إياهُمْ يُحاورُ [٥]، ومنهم يستمعُ، وآثارهُمْ يَتَّبعُ.

غيرَ أنَّ الذي نَجِدُ في كتبِهِمْ هو المُنْتَخَلُ [٦] من آرائِهِمْ، والمُنْتَقَى من أحاديثِهِمْ. ولمْ نجدْهُمْ غادروا شيئًا يجدُ واصفٌ بليغٌ في صفةٍ له مقالاً لم يَسْبِقُوهُ إليهِ لا في تعظيمٍ للهِ، عزّ وجلّ، وترغيبٍ فيما عندَهُ، ولا في تصغيرٍ للدنيا, وتزهيدٍ فيها، ولا في تحريرِ صنوفِ العلمِ، وتَقسيمِ أقسامِها، وتجزئةِ أجزائها، وتوضيحِ سُبُلِهَا، وتَبْيينِ مآخِذِها، ولا في وجهٍ من وجوهِ الأدبِ، وضروبِ [٧] الأخلاقِ . فلمْ يَبقَ في جليلِ الأمرِ، ولا صغيرِهِ لقائلٍ بعدهُمْ مقالٌ.

وقدْ بَقِيَتْ أشياءُ من لطائفِ الأمورِ فيها مواضعُ لصغارِ الفِطَنِ، مُشْتَقَّةٌ من جِسَامِ حِكَمِ الأولينَ وقولِهم، فمِن ذلك بعضُ ما أنا كاتبٌ في كتابيَ هذا من أبوابِ الأدبِ التي يحتاجُ إليها الناسُ.

٣ الولد: كل ما ولده شيء, يطلق على الذكر والأنثى, والمفرد والمثنى والجمع.

٤ العقد، جمع عقدة: العقار الذي اعتقده صاحبه ملكًا.

٥ يحاور: يناقش.

٦ المنتخل: المختار

٧ الضروب: الأنواع.

التحليل:

قال ابن المقفع: (إنَّا وجدْنَا الناسَ قبلنا كانوا أعظمَ أجسامًا، وأوفرَ مع أجسامِهم أحلامًا، وأشدَّ قوةً، وأحسنَ بقوتِهم للأمورِ إتقانًا, وأطولَ أعمارًا, وأفضلَ بأعمارِهم للأشياءِ اختبارًا).

نجد في هذا النص الجناس غير التام في قوله: (أجسامًا، أحلامًا) باتفاق عدد الحروف والحركات واختلاف حرفين هما الجيم والسين في (أجسامًا) مع الحاء واللام في (أحلامًا) وهذا يسمى جناس غير تام لاختلاف نوع الحروف.

كما نجد في النص نفسه فن (السجع) في نهاية كل جملة من جمله المتمثل بالألف الممدودة المُنونة، مما يعطي النص ايقاعا متكررا ، فالتنوين المتكرر يحدث وقعًا على أذن السامع إذا ما وصلنا الكلام دون وقف، ليوحي بذلك على أهمية القول وفائدته.

ونجد التكرار في قوله: (فكانَ صاحبُ الدينِ منهم أبلغُ في أمرِ الدينِ عِلمًا وعَملًا من صاحبِ الدينِ مِنَّا) ، حيث كرر الكاتب جملة (صاحب الدين) في سياق المقارنة بين القدماء والمحدثين من أصحاب الدين، وجاء تكرار الجملة في نهاية النص للحصر دون الاعمام، فلو أنه لم يكررها لحصل لبسٌ في المعنى وفُهمت المقارنة بين مخصوص (أصحاب الدين) وبين عامة الناس .

كتاب البخلاء للجاحظ

حياة الجاحظ :

أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري الشهير بالجاحظ توفي(– ٢٥٥ هـ) أديب موسوعي يعد من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي. من المعتزلة . ولد الجاحظ في البصرة سنة ١٥٩ هـ في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين، ومات في خلافة المهتدي بالله سنة ٢٥٥ هـ، في البصرة أيضاً. كان الجاحظ موسوعة تمشي على قدمين، وتعدُّ كتبه دائرة معارف لزمانه، كتب في كل شيء تقريبًا؛ كتب في علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة وغيرها . ويعد الجاحظ من أغزر كتّاب العالم ؛ فقد كتب ما يقارب ٣٦٠ كتابًا في كل فروع المعرفة في عصره... وكان عدد كبير من هذه الكتب في مذهب الاعتزال.. وبحث مشكلاته.. والدفاع عنه... لكن التعصب المذهبي أدى إلى أن يحتفظ الناس بكتب الجاحظ الأدبية.. ويتجاهلوا كتبه الدينية فلم يصل إلينا منها شيء.

كتاب البخلاء :

كتاب البخلاء، هو كتاب أدب وعلم وفكاهة. فالكتاب موسوعة علمية أدبية اجتماعية جغرافية تاريخية ، ويعد من أنفس الكتب التي يتنافس فيها الأدباء والمؤرخون. ظهرت فيه روحه الخفيفة تهز الأرواح، وتجتذب النفوس. تجلى فيه أسلوبه الفياض، وبيانه الجزل الرصين، وقدرته النادرة، على صياغة النادرة، في أوضح بيان، وأدق تعبير، وأبرع وصف. ولا نعرف كتابا غيره للجاحظ أو لغيره، وصف الحياة الاجتماعية في صدر الدولة العباسية ، فقد اطلعنا على أسرار الأُسر، ودخائل المنازل، واسمعنا حديث القوم في شؤونهم الخاصة والعامة، وكشف لنا عن كثير من عاداتهم وصفاتهم وأحوالهم.

وقد صور الجاحظ في كتابه البخلاء الذين قابلهم وتعرفهم في بيئته الخاصة خاصة في بلدة مرو عاصمة خراسان، وقد صور الجاحظ البخلاء تصويراً واقعياً حسياً نفسياً فكاهياً، فأبرز لنا حركاتهم ونظراتهم القلقة أو المطمئنة ونزواتهم النفسية، وفضح أسرارهم وخفايا منازلهم واطلعنا على مختلف أحاديثهم، وأرانا نفسياتهم وأحوالهم جميعاً، ولكنه لا يكرهنا بهم لأنه لا يترك لهم أثراً سيئاً في نفوسنا.

مميزات كتاب البخلاء :

١-قصص الكتاب مواقف هزلية تربوية قصيرة.
٢-الكتاب دراسة اجتماعية تربوية نفسية اقتصادية لهذا الصنف من الناس وهم البخلاء.
٣-لكتاب البخلاء أهمية علمية حيث يكشف لنا عن نفوس البشر وطبائعهم وسلوكهم.
٤-احتوائه على العديد من أسماء الأعلام والمشاهير والمغمورين وكذلك أسماء البلدان والأماكن وصفات أهلها والعديد من أبيات الشعر والأحاديث والآثار.

قصة الكندي في كتاب البخلاء

من هو الكندي :

أبو يوسُف يَعْقُوب بن إِسْحَاق الْكِنِدي (ت ٢٥٦هـ) علّامة عربي مسلم، برع في الفلك والفلسفة والكيمياء والفيزياء والطب والرياضيات والموسيقى وعلم النفس والمنطق الذي كان يعرف بعلم الكلام. اشتهر بجهوده في تعريف العرب والمسلمين بالفلسفة اليونانية القديمة . عاش في البصرة في مطلع حياته ثم انتقل منها إلى بغداد حيث أقبل على العلوم والمعارف لينهل من معينها، وكان القرن الثالث الهجري يموج بألوان شتى من المعارف القديمة والحديثة وذلك بتأثير حركة النقل والترجمة، فانكب الكندي على الفلسفة والعلوم القديمة حتى حذقها.

أوكل إليه المأمون مهمة الإشراف على ترجمة الأعمال الفلسفية والعلمية اليونانية إلى العربية في بيت الحكمة. غير أنه كان معروفا بالبخل مما حذا بالجاحظ أن ينقل لنا بعض نوادره في كتابه .

قصة الكندي وتأجير العقارات

قال معبد: نزلنا دار الكندي أكثر من سنة، نروّج له الكراء، و نقضي له الحوائج، و نفي له بالشرط. قلت: قد فهمت ترويج الكراء، و قضاء الحوائج. فما معنى الوفاء بالشرط؟ قال: في شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة [١] ، و بعر الشاة و نَشوار[٢] العلوفة، و ألا يلقوا عظمًا، و لا يخرجوا كُسَاحةً[٣] . و أن يكون له نوى التمر، و قشور الرمان، و الغرفة من كل قدر تطبخ للحبلى في بيته. و كان في ذلك يتنزّل عليهم؛ فكانوا لطيبه و إفراط بخله، و حسن حديثه، يحتملون ذلك.

قال معبد: فبينما أنا كذلك، إذ قدم ابن عمّ لي و معه ابن له، و إذا رقعةٌ منه قد جاءتني: «إن كان مقام هذين القادمين ليلةً أو ليلتين، احتملنا ذلك. و إن كان إطماعُ السكان في الليلة الواحدة، يجرّ علينا الطمعَ في الليالي الكثيرة» . فكتبت إليه: «ليس مقامهما عندنا إلا شهرا أو نحوه» .

---

١. روث الدابة: زبل الدابة، و ذات الحوافر.

٢. نشوار: ما تبقيه الدابة من العلف.

٣. كساحة: الكُناسة ما يُكنس من الزُّبالة، قُمامة

فكتب إليّ: «إن دارك بثلاثين درهما، و أنتم ستة، لكل رأس خمسة، فإذا قد زدت رجلين، فلا بد من زيادة خمستين. فالدار عليك من يومك هذا بأربعين» . فكتبت إليه: «و ما يضرك من مقامهما، و ثقل أبدانهما على الأرض التي تحمل الجبال، و ثقل مئونتهما عليّ دونك؟ فاكتب إليّ بعذرك لأعرفه» . و لم أدر أني أهجم على ما هجمت، و إني أقع منه فيما وقعت، فكتب إلي: ((الخصالُ[٤] التي تدعو إلى ذلك كثيرة، و هي قائمة معروفة من ذلك سرعة امتلاء البالوعة، و ما في تنقيتها من شدة المئونة، و من ذلك أن الإقدام إذا كثرت، كثر المشي على ظهور السطوح المطيّنة، و على أرض البيوت المجصّصة، و الصعود على الدرج الكثيرة. فينقشر لذلك الطين، و ينقلع الجص، و ينكسر العتب. مع انثناء الأجذاع لكثرة الوطء، و تكسّرها لفرط الثقل. و إذا كثر الدخول و الخروج و الإغلاق و الإقفال و جذب الأقفال، تهشمت الأبواب و تقلعت الرزّات[٥] و إذا كثر الصبيان، و تضاعف البوْش[٦] نُزعت مسامير الأبواب، و قُلعت كل ضَبَّة [٧] ، و نُزعت كل رَزَّة ، و كسرت كل حَوزة [٨]، حفر فيها آبار الزدو[٩]، و هشّموا بلاطها بالمداحي [١٠] . هذا مع تخريب الحيطان بالأوتاد و خشب الرفوف.

---

٤. الخصال: هنا بمعنى العوامل و الدوافع.

٥.الرزات: مفردها رزة: حديدة يدخل فيها القفل

٦ .البوش: العيال.

٧ [.ضبّة: ضرب من المغاليق.

٨ .حوزة :الموضع الذي أقيم له أو حوله حاجز. أو ما انضم إلى الدار من المواقف و المنافع.

٩ .الزدو: لعبة للصبيان يحفرون لها في الأرض.

١٠. المداحي: مفردها مدحاة: خشبة يدحى بها الصبي. و هي لعبة للصبيان ايضا.

و إذا كثر العيال و الزوّار، و الضيفان و الندماء، احتيج من صب الماء و اتخاذ الحببة [١١] القاطرة، و الجرار الرّاشحة، إلى أضعاف ما كانوا عليه. فكم من حائط قد تأكل أسفله، و تناثر أعلاه، و استرخى أساسه، و تداعى بنيانه، من قطر حُبٍّ و رشح جرَّةٍ، و من فضل ماء البئر، و من سوء التدبير. و على قدر كثرتهم يحتاجون من الخبيز و الطبيخ و من الوقود و التسخين. و النارُ لا تبقي و لا تذر. و إنما الدور حطب لها. و كل شيء فيها من متاع فهو أكل لها. فكم من حريق قد أتى على أصل الغلة، فكلفتم أهلها أغلظ النفقة. و ربما كان ذلك عند غاية العسرة، و شدة الحال. و ربما تعدت تلك الجناية الى دور الجيران، والى مجاورة الأبدان و الأموال. فلو ترك الناس حينئذ رب الدار و قدر بليّته و مقادر مصيبته، لكان عسى ذلك أن يكون محتملا. و لكنهم يتشاءَمون به، و لا يزالون يستثقلون ذكره، و يكثرون من لائمته و تعنيفه.

نعم ثم يتخذون المطابخ في العلالي على ظهور السطوح، و إن كان في أرض الدار فضل و في صحنها متسع مع ما في ذلك من الخِطارِ بالأنفسِ [١٢] ، و التغرير بالأموال، و تعرض الحُرَم ليلةَ الحريق لأهل الفساد، و هجومهم مع ذلك على سر مكتوم، و خَبِيءٍ مستور. من ضيفٍ مستخفٍّ، و ربِّ دارٍ مُتوارٍ، و من شرابٍ مكروهٍ، و من كتابٍ مُتَّهمٍ، و من مالٍ جمٍّ أريد دفنهُ، فأَعجَل الحريقُ أهلهُ عن ذلك فيه، و من حالاتٍ كثيرة، و أمور لا يحب الناس أن يعرفوا

---

١١. الحببة: مفردها حب: الجرة.

١٢.الخطار بالأنفس: التعرّض للمصاعب.

بها ثم لا ينصبّون التنانير [١٣] ، و لا يمكّنون للقدور، إلا على متن السطح، حيث ليس بينها و بين القصب و الخشب إلا الطينُ الرقيقُ و الشيءُ لا يقي. هذا مع خفّة المئونة في إحكامها و أمن القلوب من المتالف بسببها. فإن كنتم تقدمون على ذلك منا و منكم و أنتم ذاكرون، فهذا عجب. و إن كنتم لم تحفلوا بما عليكم في أموالنا، و نسيتم ما عليكم في أموالكم، فهذا أعجب.

ثم إن كثيرا منكم يدافع بالكراء، و يماطل بالأداء. حتى إذا اجتمعت أشهر عليه، فرّ و خلّى أربابها جياعا، يتندّمون على ما كان من حسن تقاضيهم و إحسانهم. فكان جزاؤهم و شكرهم اقتطاع حقوقهم، و الذهاب بأقواتهم. و يسكنها الساكن حين يسكنها، و قد كسحناها و نظّفناها، لتحسن في عين المستأجر، و ليرغب فيها الناظر. فإذا خرج، ترك فيها مزبلة و خرابا، لا تصلحه إلا النفقة الموجعة، ثم لا يدع مترسا [١٤] إلا سرقه، و لا سلّما إلا حمله، و لا نقضا إلا أخذه، و لا برادة إلا مضى بها معه، و يدع دقّ الثوب، و الدقّ في الهاون و المنحاز [١٥] ، في أرض الدار.

---

١٣. التنانير: ما يشبه المواقد. يصنع من الطين و يجوّف داخله، و يوضع فيه الحطب لشواء الخبز.

١٤. مترسا: ما يوضع خلف الباب لدعمه و تقويته.

١٥. المنحاز: مدقة كالهاون.

المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني

مفهوم المقامة الأدبية : **المقامة الأدبية نوع من الأدب القصصي يُعرض بطريقة بليغة ومسجوعة تنقلها شخصيةٌ خيالية؛ قد تكون ماكرة تسعى بين الناس لتحتال عليها فيكسبون منهم النقود، لتنتهي بعد ذلك بعبرة أو نكتة .**

فالمقامة فن أدبي نثري وهو من أقدم الفنون الأدبية التي ظهرت بعد الإسلام، فقد بدأ هذا الفن في الظهور في القرن الرابع الهجري، والمقامة هي أقرب للرواية الخيالية، حيث أنها تروي قصة أو حكاية متصلة ومحبوكة على لسان راوي، والراوي قد يكون بطل القصة أو ممن عاشوا أحداثها.

ويعتقد أن أول من روى المقامات هو الشاعر بديع الزمان الهمذاني والذي كتب ما يقرب من أربعمائة مقامة، وسميت بالمقامة لأن كلمة مقامة تعني المجلس الذي يجلس الناس فيه، والتعريف الأدبي للمقامة هي قضية تدور جميع أحداثها في جلسة واحدة.

والغرض الأساسي من المقامة هو النصح والوعظ والتعليم، حيث كانت كل مقامة تحكي على لسان الراوي قصة وعبرة تحدث لبطل المقامة والذي يطلق عليه المكدي والذي ينتصر دائمًا في نهاية القصة.

مقومات المقامة ودعائمها:

إنّ المقامة الأدبية كغيرها من الفنون لها بناء ودعائم، ومنها ما يأتي:

١- التشويق: يعتبر من أهم دعائم المقامة حيث تثير انتباه القارئ وتسليه؛ من خلال ما يخرج من قريحة أبطالها من طرق عرض مميزة.

٢- الحادثة: الحدث هو عنصر أساسي في بناء المقامة لا يمكن إغفاله لتعرض المقامة بطريقة متسلسلة.

٣- السرد: تعتمد المقامة على طريقة سرد الأحداث، حيث يجب أن تُعرض بطريقة مغرية للقارئ من خلال عرض الأحداث بطريقة مترابطة ومشوّقة.

أشهر من كتب في المقامات :

اشتهر في كتابة المقامات الأدبية ثلاثة أسماء كبيرة وهم:

١- بديع الزمان الهمذاني(٣٥٨ هـ): هو أول من قام بكتابة المقامات وبرع بها؛ حيث تميزت مقاماته بالسهولة والفصاحة وقصرها، كما تخللها روح الدعابة والمرح، وبديع الزمان هو بديع في وصفه؛ فقل أن يجد القارئ له تشابهاً في مقامته من حيث المضمون.

٢- أبو القاسم الحريري (٥١٦ هـ): برع أبو القاسم في هذا الفن حيث كتب مقاماته بلغة قصيرة الجمل ومتينة متعاقبة الألفاظ متناسقة المعنى قريبة إلى القارئ.

٣- ابن الناقيا (٤٨٥ هـ):البغدادي الأصل ويعتقد أنه كان سريانيًا لكنه كتب المقامات العربية بعد تأثره ببديع الزمان ، وكان يحاول أن يحاكي الهمذاني في اختيار عبارات رنانة ، لكنه لم يكن يهدف في مقاماته للنقد الاجتماعي.

خصائص مقامات بديع الزمان الهمزاني

١-قد تميزت مقامات بيع الزمان عن غيرها بقصر المقدمة.

٢-ومن مميزاتها أيضًا الدعابة والمرح والتهكم.

٣-كما تميز بعدم تكرار المعنى فقلما تجد مقامتين لبديع الزمان تكرران نفس المعنى.

٤-كان بديع الزمان يهتم بعرض مساوئ المجتمع لكنه لم يهتم أبدًا بإصلاح تلك العيوب.

٥-كان بديع الزمان يحسن تحليل طبائع الناس، لكنه كثير الاحتقار للناس في مقاماته.

٦-كان أسلوبه يتميز بالفصاحة والسهولة والوضوح، مع حسن تركيب الجمل واختيار الألفاظ دون تكلف أو إغراق في استخدام السجع.

٧-كان الراوي في مقامات الهمذاني دائمًا هو عيسى بن هشام وبطل كل مقاماته هو أبو الفتح الإسكندري.

ومن أهم المواضيع التي تناولتها مقامات بديع الزمان الهمذاني:

المديح: فقد كتب الهمذاني ست مقامات في مديح والي سجستان ، بعد أن عاش هناك عامين، وقد بالغ وأطنب في مدح وذكر محاسنه.

النقد الأدبي: فقد قام الهمذاني بنقد الشعراء والكتاب الآخرين في أربعة مقامات مثل الفرزدق وامرؤ القيس وغيرهم حتى أنه كتب في نقد الجاحظ مقامة سميت بالجاحظية وهو ينتقده فيها لأن نثره يخلو من السجع.

الوعظ الديني والزهد: فالمقامة الوعظية والمقامة الأهوازية تحملان دعوة للزهد والتأمل.

الحض على العلم والتعليم: فمقامات بديع الزمان لا تخلو من الوعظ على لسان الاسكندري أو حتى بشكل مستعار.

المقامة البغدادية

حَدَّثَنَا عِيَسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ[١]، وأَنَا بِبَغْدَاذَ، وَلَيسَ مَعْي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ[٢] حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوادِيٍّ[٣] يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمارَهُ، وَيُطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ[٤]، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى البَيْتِ، فَقَالَ السَّوادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، ... أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْدِ، وَاتْصَالُ البُعْدِ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ؟ أَشَابٌ كَعَهْدي[٥]، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ[٦]، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، وَمَدَدْتُ يَدَ البِدَارِ[٧]، إِلي الصِدَارِ[٨]، أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوادِيُّ عَلى خَصْرِي بِجُمْعِهِ[٩]، وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إِلى البَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِواءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ القَرَمِ[١٠]، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقَمِ، وَطَمِعَ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقاً، وَتَتَسَايَلُ جُوذِبَاتُهُ[١١] مَرَقاً، فَقُلْتُ: افْرِزْ لأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذا الشِّواءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الحَلْواءِ، واخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْباقِ، وانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنْ مَاءِ السُّمَّاقِ، لِيأَكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ

( ) الأزاذ : من اجود أنواع التمر [1]

) محاله : جمع محل أي امكنة الأزاذ [2](

(٣)السوادي : رجل من قرى العراق وسمي العراق بأرض السواد لاكتساء أرضه بالخضرة وكثرة الاشجار

( ) الإزار : ما يشد من الوسط الى اسفل الساقين ، ويظرف الإزار : أي يرد أحد طرفيه على الأخر [4]

( ) كعهدي : أي عهدي به ومعرفتي فيه [5]

( ) دمنته : أثره أي أراد من دمنته أثر الربيع على الدار الخرب بعد موته او نبت الربيع على قبره [6]

( ) البدار : المبادرة والمسارعة [7]

( ) الصدار : ثوب يكون على الصدر [8]

( ) جمعه : قبضة يده [9]

( ) حمة القرم : اشتداد الشهوة لأكل اللحم[10]

( ) جوذاباته : جمع جوذابه وهو الخبر [11]

هَنيَّاً، فَأَنْخَى الشَّوّاءُ بِسَاطُورِهِ، عَلَى زُبْدَةِ تَتُّورِهِ، فَجَعَلها كَالكُحْلِ سَحْقاً، وَكَالطِّحْنِ دَقّا، ثُمَّ جَلسَ وَجَلَسْتُ، ولا يَئِسَ وَلا يَئِسْتُ، حَتَّى اسْتَوفَيْنَا، وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الحَلْوَى: زِنْ لأَبي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِينج رِطْلَيْنِ فَهْوَ أَجْرَى فِي الحُلْوقِ، وَأَمْضَى فِي العُرُوقِ، وَلْيَكُنْ لَيْلِيَّ العُمْرِ، يَوْمِيَّ النَّشْرِ، رَقِيقَ القِشْرِ، كَثِيفِ الحَشْو، لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ المَضْغِ، لِيَأْكُلَهُ أَبَو زيْدٍ هَنِيَّاً، قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعدْتُ، وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ[1]، حَتىَّ اسْتَوْفَيْنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشِعُ بِالثَّلْجِ[2]، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَّةَ[3]، وَيَفْثَأَ[4] هذِهِ اللُّقَمَ الحَارَّةَ، اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نأْتِيكَ بِسَقَّاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرْبَةِ ماءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ ولاَ يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ ثَمَنُ ما أَكَلْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفَاً، فَلَكَمَهُ لَكْمَةً، وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ، ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ: هَاكَ[5]، وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟ ..... ، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ[6] بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ القُرَيْدِ، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَهْوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ، فَأَنْشَدْتُ:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلـهْ *** لاَ تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالَهْ

وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِيَمةٍ *** فَالمَرْءُ يَعْجِزُ لاَ مَحَالَهْ

---

[1] ( ) جرد وجردت : أي جرد يده من ثيابه كما يجرد الشجاع سيفه

[2] ( ) يشعشع بالثلج : أي يمزج بالثلج

[3] ( ) الصارة : العطش

[4] ( ) يفثأ : أي يسكن ، وتسكين اللقم تكسر حدة حرارتها

[5] ( ) هاك : أي خد من اللطم واللكم

[6] ( ) عقده : أي عقدة كيسه ليخرج الدراهم

تحليل المقامة البغدادية:

سُميت المقامة البغداديّة بهذا الاسم؛ لأنّ أحداثها جرت في مدينة بغداد، حيث يقول عيسى بن هشام في نص المقامة: (اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ، وأَنَا بِبَغْدَاذَ)

تبدأ المقامة الأدبيّة بلفظ (حدّثنا) لأنّها من **أنواع السرد الحكائيّ** الذي يرتكز على وجود راوٍ أساسيّ يقوم برواية وسرد أحداث قصة خياليّة. والغرض الأساسيّ من المقامة البغداديّة وسائر مقامات بديع الزمان الهمذانيّ ومقامات الحريري هو **غرض تعليميّ**؛ فالمقامة تضجّ بأنواع البديع وأساليب البيان، فضلا عن النّظم الشعريّ الذي كان يتخلّله، وكذلك نقد الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي كانت سائدة آنذاك .

أشار النص إلى سلوك اجتماعي سلبيّ، وهو الكدية والتسول . فتعدّ الكدية من أبرز ملامح المُجتمع في المقامة البغداديّة، وتدور المقامات بشكل أساسيّ حول موضوع الكدية أو التسول، وهو سلوك سلبيّ بارز في المجتمعات الإنسانيّة التي اختلّت فيها الأنظمة الاقتصاديّة وتباينت فيها الطبقات الاجتماعية، وتعدّ الكدية بحقّ ردّة فعل على الفقر السائد ومنفذًا غريزيًّا لأولئك الفقراء الذين ضاقت بهم سُبُل الرّزق .

الشخصيات الرئيسة:

الشخصيات الرئيسة التي جاءت في المقامة البغدادية ، شخصيتان تمثل الواقع المجتمعي:

١) شخصية عيسى بن هشام: تُمثّل هذه الشخصيّة فئة من المجتمع التي تسعى لتحقيق الذات وقضاء الحاجة بكلّ السّبل المُتاحة؛ إيجابية كانت أو سلبية، لذلك فإنّها شخصيّة مُحتالة ماكرة.

٢) شخصية السوادي: تُمثّل هذه الشخصية الطبقة البسيطة الكادحة في المجتمعات الإنسانيّة التي تسعى للحصول على قوت يومها بالكدّ والتعب، وقد تبذل المشقة في السفر والترحال والعمل في سبيل الحصول على الرزق البسيط وهي تزهد في الكثير من ملذات الحياة في سبيل ذلك، إلا أنّها لا تتطلّع للحصول على رزقها بطرق مُلتوية، لذلك فإنّ السوادي كما في المقامة يعدّ شخصية بسيطة سهلة الاستغلال من قِبل المُحتالين والماكرين.

الشخصيات الثانوية:

١) شخصية الشوَّاء: وقد جاءت ثانوية في المقامة، ولكنه كان له دور فاعل فيها؛ إذ مثّل جانب المعاقب الذي تولّى عقاب السوادي وأجبره على دفع ثمن الطعام الذي أكله هو المخادع عيسى.

٢) شخصية السَّقاء: وهو بائع الماء الذي يسقي الناس الماء في ذلك الزمان، وهي شخصية ثانوية ذُكرت بشكل عرضيّ ولم تكن فاعلة في النص، إنما كانت الحجة التي استخدمها المخادع عيسى للفرار من الموقف مع السوادي.

الصور البلاغية في المقامة البغدادية:

الشاهد: (فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ)

تحليل الصورة: صوّر بطل المقامة عيسى بن هشام السوادي بالصّيد الذي قد ظفر به فقد جعل الصيد كناية عن السوادي.

الشاهد: (فَانحنى الشَّوّاءُ بِسَاطُورِهِ، عَلَى زُبْدَةِ تَنُّورِهِ، فَجَعَلها كَالكُحْلِ سَحْقًا، وَكَالطِّحْنِ دَقّا)

تحليل الصورة: صوّر عيسى بن هشام اللّحم الذي قام الشّواء بسحقه بالكحل في رقّته، والطّحين في دقة جزيئاته ، وهو تشبيه (الشواء) بالكحل لرقته وكذلك بالطحين عند طحنه.

الشاهد: (وليكن لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ)

تحليل الصورة: شبَّه حلوى اللوزينج بعد الدّهن بالسمن باللؤلؤ في لمعانه، وبالكوكب في لونه وإشراقه.

الشاهد: (مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشِعُ بِالثَّلْجِ، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَّةَ)

تحليل الصورة: صوّر شدّة العطش وحرقته بالعدوّ الذي يُقمع، فقد شبه (العطش) بالعدو وحذفه على سبيل الاستعارة المكنية .

الشاهد: (كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ القُرَيْدِ، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ)

تحليل الصورة: شبه عيسى بن هشام السوادي بالقرد الصّغير في شقائه ومكره فالتشبيه هنا تشبيها بليغا لأنه حذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

لقد بدت الصور البلاغيّة المُتمثّلة بالتشبيه في المقامة البغدادية واضحة، رغم قلّتها بما أضْفته على المقامة من قيم جماليّة.

المحسنات البديعية في المقامة البغدادية:

يمتاز فنّ المقامة بشكل عام بتكلُّف الكاتب في الصّنعة واستخدام ضروب البلاغة والبيان المُختلفة في صياغتها اللّغوية، ولهذا فإنّها تزخر بأنواع البديع، ومن أبرزها:

الشاهد: (اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ، وأَنَا بِبَغْدَاذ)

نوع المحسن البديعي: السجع، ويُقصد به توافُق أواخر الكلمات في فواصل الكلم، والسّجع في المقامة البغدادية من أبرز المحسنات البديعية وضوحًا، ومن أمثلتها التّوافق بين الكلمتين الأزاذ وبغداذ في آخر كل جملة.

الشاهد: (لَيِسَ مَعْي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ)

نوع المحسن البديعي: الجناس غير تام، وهو تشابُه لفظين في النّطق واختلافهما في المعنى، ويظهر في الشّاهد في الكلمتين: عقد ونقد، حيث اشتركت هذه الكلمات في الشّكل والحرف واختلفتا في المعنى بحرف واحد ولذلك؛ سُميّ الجناس هنا ناقصًا.

الشاهد: (هَلُمَّ إِلى البَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِواءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ)

نوع المحسن البديعي: حسن التعليل، ويُقصد به حُسن التّبرير وتبيان سبب حدث ما، ويظهر في الشّاهد من خلال ذكر محاسن السوق، وتعليل سبب ترجيحه له.

الشاهد: (رَقِيقَ القِشْرِ، كَثِيفِ الحَشْو)

نوع المحسن البديعي: الموازنة، ويُقصد بها تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية، وهي في الكلمتين: القشر والحشو في الشاهد السابق.

كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

حياته :

أبو حيان التوحيدي (٤١٤ هـ) فيلسوف متصوف، مسلم وأديب بارع، من أعلام القرن الرابع الهجري، عاش أكثر أيامه في بغداد أيام الحكم البويهي وإليها ينسب.

وقد امتاز أبو حيان بسعة الثقافة وحدة الذكاء وجمال الأسلوب، فهو رجل موسوعي الثقافة، رغم هذه الثقافة الموسوعية والمقدرة الأدبية والفكرية التي تمتع بها التوحيدي، فقد عاش فقيراً لم يجد مصدر رزق له سوى الوراقة التي دعاها «حرفة الشؤم» ليس لمردودها القليل فقط، وإنما لكونها تأتي علي البصر والعمر، على حدّ قوله، لهذا لاحقه إحساس الغبن والاضطهاد، فهو لم ينل ما يستحق من مكانه رفيعة، إذ عاش منبوذاً من كبار عصره، يغمره شعور الاغتراب!. **سمي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء** كما، امتازت مؤلفاته بتنوع المادة، وغزارة المحتوى؛ فضلا عما تضمنته من نوادر وإشارات تكشف بجلاء عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والسياسية للحقبة التي عاشها، وهي –بعد ذلك– مشحونة بآراء المؤلف حول رجال عصره من سياسيين ومفكرين وكتاب.

قصة تأليف كتاب الامتاع والمؤانسة :

الإمتاع والمؤانسة كتاب يروي ما جرى في سبع وثلاثين ليلة قضاها أبو حيان التوحيدي في منادمة الوزير أبي عبد الله العارض، وزير صمصام الدولة ابن عضد الدولة البويهي. جمعها التوحيدي وأهداها لأبي الوفاء المهندس محمد بن محمد البوزجاني الذي وصله بالوزير أبي عبد الله. وهو ثلاثة أجزاء

إن أبا الوفاء المهندس كان صديقاً لابي حيان التوحيدي وللوزير أبي عبد الله العارض، فقرب أبو الوفاء أبا حيّان من الوزير، ووصله به، ومدحه عنده، حتى جعل الوزير أبا حيّان من سُمّاره، فسامره سبعاً وثلاثين ليلة، كان يحادثه فيها، ويطرح الوزير عليه أسئلة في مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيّان. ثم طلب أبو الوفا من أبي حيّان أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين الوزير من حديث فأجاب أبو حيان طلب أبي الوفاء، ونزل على حكمه، وفضل أن يدوّن ذلك ليشتمل على كل ما دار بينه وبين الوزير من دقيق وجليل وحلو ومر، فكان من ذلك كتاب "الإمتاع والمؤانسة"

موضوعات الكتاب

موضوعات كتاب الامتاع والمؤانسة كثيرة ومتنوعة تنوعا ظريفا لا يخضع لترتيب ولا تبويب ، إنما تخضع لخطرات العقل و الخيال الواسع وشجون الحديث ، حتى نجد في الكتاب مسائل من كل علم وفن، وأدب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر و أدبائه وعلمائه وتصوير للعادات واحاديث المجالس .

كما أن للكتاب فوائد كثيرة لما يحمله من قيمة تاريخية عن الحياة السياسية للدولة ، فهو يصف كثيرا حالة الشعب في عصره وموقفهم من الأمراء والملوك ، كما أنه يعرض أحيانا ما للحياة الاجتماعية الشعبية. أما إذا انتقلنا إلى مادة الكتاب نجد أن المؤلف قسَّم كتابه إلى ليالٍ ذاكرا في كل ليلة ما دار بينه وما بين الوزير على سبيل الحديث والحوار يجعله شيقا . أو على حد تعبيره هو(ممتعا مؤنسا) فهو أشبه شيء بألف ليلة وليلة.

الفرق بين ألف ليلة وليلة و الامتاع والمؤانسة:

إن **وجه التشابه** بين ألف ليلة وليلة وكتاب الامتاع والمؤانسة **أن قصص الكتابين مقسمة إلى ليالٍ في شكل قصصي**، أما وجه الاختلاف فهي كالآتي:

١- أن ليالي ألف ليلة وليلة كانت للهو والطرب وكيد النساء ، أما ليالي الامتاع والمؤانسة كانت ليالٍ للفلاسفة والمفكرين والأدباء ، إذ يتعرض فيها صاحب الكتاب لأهم مشاكل الفلاسفة كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر.

٢- كما أن حظ الخيال في الامتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة.

٣- كذلك فإن طبيعة السرد مختلفة في الامتاع والمؤانسة عنها في خرافة شهرزاد وشهريار في ألف ليلة وليلة، فإذا كانت شهرزاد تقوم بدور السارد طيلة ألف ليلة وليلة، فيما قام شهريار بدور المسرود له، فإن الحال لم يكن كذلك في الإمتاع والمؤانسة.

٤-نستطيع القول إنَّ الطرفين في الإمتاع والمؤانسة، كانا متحاورين، ومتكافئين من حيث مخزوناتهما من الحفظ، والفهم، والاستيعاب، لشتى أنواع العلوم، والفنون، والمعارف، والفلسفات، واللغات، والسياسة، والعلوم الشرعية، وغيرها. فلم يكن التوحيدي، سارداً فقط كشهرزاد بل سنرى أن التوحيدي عندما يكون سارداً، يكون العارض مسروداً له، وعندما يكون العارض سارداً يكون التوحيدي مسروداً له، في عملية تبادل متكافئ للأدوار،

أسلوبه :

اتبع أبو حيان في كتابه أسلوبا سرديا رائعا، يخاطب فيه صديقه أبا الوفاء المهندس، ويذكر له الحوارات التي دارت بينه وبين الوزير بأسلوب تكثر فيه:

١- الجمل القصيرة، والسجع المنظم المسبوك.

٢- ثم إنه إذا وصف بالغ وأتقن ولم يترك واردة في الموصوف ولا شاردة إلا وقيدها.

٣- وكان أسلوبه صريحا فيعترف لأهل الفضل بالفضل، ولأهل الإساءة بالإساءة، فهو كثيرا ما يتبع ذكره لشيخه أبي سليمان، والوزير العارض، وصديقه أبو الوفاء المهندس بألفاظ الدعاء بالرحمة والبقاء والحفظ، ويتبع ذكره للزنادقة والمناطقة والمتفيقهين بما يستحقونه.

٤- ونلاحظ أنه ينسب كل مقولة وكل معلومة يذكرها لصاحبها، وإن أغفل ذلك أحيانا فإن الوزير يسأله عن مصدر تلك المعلومة حتى يقطع الشك باليقين.

٥- ودائما ما يورد الحجج العقلية في معرض رده على بعض الخصوم، أو محاولة إقناعه لمحدثيه بنقطة ما.

الليلة الأولى

وصلتُ أيها الشيخ — أطال الله حياتك — أول ليلة إلى مجلس الوزير أعز الله نصره، وشدَّ بالعصمة والتوفيق أَزْرَه! فأمرني بالجلوس، وبسط لي وجهه الذي ما اعتراه منذ خُلِق العبوس، ولطَّف كلامه الذي ما تبدَّل منذ كان لا في الهَزْل ولا في الجِدّ، ولا في الغضب ولا في الرضا.

ثم قال بلسانه الذَّلِيق،([1]) ولفظه الأنيق: قد سألتُ عنك مراتٍ شيخنا أبا الوفاء، فذكر أنك مُراعٍ لأمر البِيمَارِسْتان من جهته، وأنا أَرْبَأ بك عن ذلك، ولعلي أعرِّضك لشيء أنْبَه من هذا وأَجدَى، ولذلك فقد تاقت نفسي إلى حضورك للمحادثة والتأنيس، ولأتعرَّف منك أشياء كثيرةً مختلفة تَرَدَّدُ في نفسي على مَرِّ الزمان لا أحصيها لك في هذا الوقت، لكني أَنْثُرها في المجلس بعد المجلس على قدر ما يَسْنح ويَعرِض، فأجبني عن ذلك كلِّه باسترسال وسكون بال، بملء فيك، وجَمِّ خاطرك، وحاضر علمك. ودَعْ عنك تفنُّن البغداديِّين([2]) ...([3]) مع عفو لفظك، وزائد رأيك، ورِبْح ذهنك. ولا تَجْبُن جبن الضعفاء، ولا تتأطَّر([4]) تأطُّر الأغبياء، واجزِم إذا قلت، وبالِغ إذا وصفت، واصْدُقْ إذا أَسْندت، وافصِل إذا حكمت، إلا إذا عرض لك ما يوجب توقُّفًا أو تَهادِيًا[5](5). وما أَحْسنَ ما قال الأول:

لا تَقْدَح الظِّنَّةُ في حكمه شيمتُهُ عدلٌ وإنصافُ

يَمضي إذا لم تَلْقه شُبهةٌ وفي اعتراضِ الشكِّ وَقَّافُ

وقد قال الأول:

أُبالي البلاءَ وإني امرؤٌ إذا ما تبيَّنتُ لم أَرتَبِ

---

[1]) اللسان الذليق: الحاد البليغ.

[2]) يريد بتفنن البغداديين: استطرادهم في الكلام وخروجهم فيه من فن إلى فن.

[3]) هنا كلمة مطموسة بالأصل لا يمكن قراءتها.

[4]) التأطر: التحبُّس والتثبِّي، شبه به وقوف الغبي وتردده في جواب ما يُسأل عنه.

[5]) التهادي: المشي الرفيق في تمايل.

وكن على بصيرة أني سأستدل مما أسمعه منك في جوابك عما أسألك عنه على صدقك وخلافِه، وعلى تحريفك وقِرافِه .([1])

فقلتُ قبلُ: ، كلُّ شيء أريد أن أُجَاب إليه يكون ناصري على ما يُراد مني، فإني إن مُنِعْتُه نَكَلْتُ، وإن نَكَلْتُ قلَّ إفصاحي عما أطالَب به وخِفْتُ الكساد، وقد طمعتُ بالنَّفَاق،([2]) وانقلبتُ بالخيبة، وقد عقدتُ خِنْصَري على المسألة. فقال حرس الله روحه: قل عافاك الله ما بدا لك، فأنت مُجاب إليه ما دمتَ ضامنًا لبلوغ إرادتنا منك، وإصابة غرضنا بك.

قلت: يُؤْذَن لي في كاف المخاطَبة وتاء المواجَهة، حتى أتخلص من مزاحمة الكناية ومضايقة التعريض، وأركبَ جَدَد([3]) القول من غير تَقيَّة ولا تَحاشٍ ولا مُحاوَشة ([4]) ولا انْحِياش.([5])

قال: لك ذلك، وأنت المأذون فيه، وكذلك غيرك، وما في كاف المخاطبة وتاء المواجهة؟ إن الله تعالى — على علوِّ شأنه، وبَسْطةِ مُلْكه، وقدرته على جميع خلقه — يُوَاجَه بالتاء والكاف، ولو كان في الكناية بالهاء رِفْعةٌ وجَلالةٌ وقَدْر ورتبة وتقديس وتمجيد لكان الله أحقَّ بذلك ومقدَّمًا فيه، وكذلك رسولُه ﷺ والأنبياء قبله عليهم السلام وأصحابُه رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان رحمة الله عليهم، وهكذا الخلفاء فقد كان يقال للخليفة: يا أمير المؤمنين أعزَّك الله، ويا عمرُ أصلحك الله، وما عاب هذا أحد، وما أَنِف منه حسيب ولا نسيب، ولا أباه كبيرٌ ولا شريف. وإني لأعجب من قومٍ يرغبون عن هذا وشبهه، ويحسبون أن في ذلك ضَعَةً أو نقيصةً أو حَطًّا

---

[1]) قرافه: أي ارتكابه، يقال: قارف الذنب واقترفه، إذا خالطه.

[2]) النفاق ضد الكساد.

[3]) الجدد بالتحريك: ما استوى من الأرض . شبه به القول الذي لا عوج فيه ولا التواء.

[4]) مُحاوَشة : لعله مواربة.

[5]) الانحياش: الانقباض.

أو زِرايةً، وأظنُّ أن ذلك لعجزهم وفُسُولتهم([1]) وانخزالهم([2]) وقلتهم وضُئُولتهم وما يجدونه من الغضاضة في أنفسهم، وأن هذا التكلُّف والتجبُّر يمحوان عنهم ذلك النقص، وذلك النقص ينتفي بهذا الصَّلَف، هيهات! لا تكون الرياسة حتى تصفو من شوائب الخُيَلاء ومن مَقابح الزَّهْو والكبرياء.

فقلت: أيها الوزير، قد خالطتُ العلماء، وخدمت الكبراء، وتصفَّحتُ أحوال الناس في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم، فما سمعتُ هذا المعنى من أحد على هذه السِّيَاقة الحسنة والحجة الشافية والبلاغ المبين، وقد قال بعض السلف الصالح: «ما تَعاظَم أحد على مَن دونه إلا بقدر ما تَصاغَر لمَن فوقه.» والتصاغر دواء النفس، وسجية أهل البصيرة في الدنيا والدين، ولذلك قال ابن السَّمَّاك للرشيد وقد عجِب من رقته، وحسن إصاخته لموعظته، وبليغ قبوله لقوله، وسرعة دمعته على وجنته: «يا أمير المؤمنين، لَتواضعُك في شرفك أشرفُ من شرفك، وإني أظن أن دمعتك هذه قد أطفأتْ أوديةً من النار وجعلتْها بردًا وسلامًا«.

قال: هذا باب مفترَقٌ فيه، ورجَعْنا إلى الحديث فإنه شهي، سيَّما إذا كان من خطرات العقل، قد خُدِم بالصواب في نغمةٍ ناغمة، وحروف متقاومة، ولفظٍ عذب، ومأخذٍ سهل، ومعرفة بالوصل والقطع، ووفاء بالنثر والسَّجع، وتباعدٍ من التكلف الجافي، وتقاربٍ في التلطف الخافي، قاتل الله ذا الرُّمَّة حيث يقول:

لها بَشَرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رخيم الحواشي([3]) لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

---

[1]) الفسولة: الخسة والضعف.

[2]) انخزالهم: أي انقطاعهم وتخلفهم عن طلب المعالي.

[3]) رخيم الحواشي: ناعمها، والهراء: المنطق الكثير، والنزر: القليل.

وكنتُ أنشد أيام الصبا هذا بالذال، وكان ذلك من سوء تلقين المعلم، وبالعراق رُدَّ عليَّ وقيل: هو بالزاي. وقد أجاد القَطاميُّ أيضًا وتغزَّل في قوله:

فهُنَّ ينبذن من قول يُصِبن به مواقعَ الماء من ذي الغُلَّة الصادي

قلتُ: ولهذا قال خالد بن صفوان حين قيل له: أتَمَلُّ الحديث؟ قال: إنَّما يُمَلُّ العتيق.([1]) والحديث معشوق الحس بمعونة العقل، ولهذا يُولَع به الصبيان والنساء. فقال: وأي معونة لهؤلاء من العقل ولا عقل لهم؟ قلتُ: ها هنا عقلٌ بالقوة وعقلٌ بالفعل، ولهم أحدهما وهو العقل بالقوة، وها هنا عقلٌ متوسط بين القوة والفعل مُزْمِع، فإذا برز فهو بالفعل، ثم إذا استمر العقل بلغ الأفق. ولفرط الحاجة إلى الحديث ما وُضِع فيه الباطل، وخُلِط بالمُحال، ووُصِل بما يُعجِب ويُضحِك، ولا يؤول إلى تحصيل وتحقيق، مثل «هزار أفسان»([2]) وكل ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات. والحس شديد اللَّهَج بالحادث والمُحْدَث والحديث، لأنه قريب العهد بالكون، وله نصيب من الطَّرَافة، ولهذا قال بعض السلف: «حادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدُّثُور»، كأنه أراد اصْقُلوها واجلُوا الصدأ عنها، وأعيدوها قابلةً لودائع الخير، فإنها إذا دَثَرت — أي صَدِئت، أي تغطَّت، ومنه الدِّثار الذي فوق الشعار — لم يُنتفَع بها. والتعجب كله منوطٌ بالحادث، وأما التعظيم والإجلال فهما لكل ما قَدُم إما بالزمان وإما بالدهر، ومثال ما يقدُم بالزمان الذهب والياقوت وما شابههما من الجواهر التي بَعُد العهد بمبادئها، وسيمتد العهد جدًّا إلى نهاياتها، وأما ما قدُم بالدهر فكالعقل والنفس والطبيعة. فأما الفَلَك وأجرامه المزدهرة في

---

[1]) العتيق: القديم.

[2]) **(هزار أفسان) كتاب في الخرافات وقد نقل ابن النديم معنى هذا الاسم(ألف خرافة). ويستفاد مما ذكره من السبب في تأليفه أنه أصل لكتاب «ألف ليلة وليلة» المعروف،**

المعانقة العجيبة، ومناطقه الخفية، فقد أخذتْ من الدهر صورةً إلهية، وأحدثت فيما سلف منها صورةً زمانية.

فقال: بقي أن يتصل به نعت العتيق والخَلَق. فكان من الجواب أن العتيق يقال على وجهين: فأحدهما يشار به إلى الكرم والحُسن والعظمة، وهذا موجودٌ في قول العرب «البيتُ العتيق»، والآخَر يشار به إلى قِدَم من الزمان مجهول. فأما قولهم «عبد عتيق» فهو داخل في المعنى الأول، لأنه أُكْرِم بالعتق وارتفع عن العبودية فهو كريم، وكذلك «وجه عتيق» لأنه أعتقتْه الطبيعة من الدَّمامة والقبح، وكذلك «فرس عتيق.«

وأما قولهم «هذا شيء خَلَق» فهو مضمَّن معنيين: أحدهما يشار به إلى أن مادته بالية، والآخَر أن نهاية زمانه قريبة. وكان ابن عباد قال لكاتبه مرة — أعني ابن حسولة — في شيء جرى: «نَعَم، العالَم عتيق ولكن ليس بقديم»، أي لو كان قديمًا لكان لا أول له، ولمَّا كان عتيقًا كان له أول، ومن أجل هذا الاعتقاد وصفوا الله تعالى بأنه قديم، واستحسنوا هذا الإطلاق. وقد سألتُ العلماء البُصَراء عن هذا الإطلاق فقالوا: ما وجدنا هذا في كتاب الله عزَّ وجلَّ ولا كلام نبيه ﷺ ولا في حديث الصحابة والتابعين. وسألت أبا سعيد السِّيرافي الإمام: هل تعرف العرب أن معنى القديم ما لا أول له؟ فقال: هذا ما صح عندنا عنهم ولا سبق إلى وهمنا هذا منهم، إلا أنهم يقولون «هذا شيء قديم» و«بنيان قديم» ويسرِّحون وهْمهم في زمانٍ مجهول المبدأ.

فقال: قد مر في كلامك شيء يجب البحث عنه، ما الفرق بين الحادث والمُحْدَث والحديث؟ فكان من الجواب أن الحادث ما يُلْحَظ نفسُه، والمُحْدَث ما يُلْحَظ مع تعلُّقٍ بالذي كان عنه محدثًا، والحديث كالمتوسط بينهما مع تعلُّقٍ بالزمان ومن كان منه.

وها هنا شيء آخر وهو الحَدَثانُ والحِدْثان، فأما الأول فكأنه لما هو مضارعٌ للحادث، وأما الحِدْثان فكأنه اسم للزمان فقط، لأنه يقال: «كان كذا وكذا في حِدْثان ما وَلِي الأمير»، أي في

أول زمانه، وعلى هذا يدور أمر الحدث والأحداث والحادثات والحوادث و«فلان حِدْثُ مُلوكٍ»، كله من ديوان واحد ووادٍ واحد وسَبْك واحد.

قال: ما الفرق بين حَدُث وحَدَث؟ قلتُ: لا فرق بينهما إلا من جهة أن حَدُث تابع لقَدُم، لأنه يقال: أخذه ما قَدُم وما حدُث. فإذا قيل لإنسان: حدِّث يا هذا، فكأنه قيل له: صِلْ شيئًا بالزمان يكون به في الحال، لا تقدُّم له من قبل.

ثم رجعتُ فقلتُ: ولفوائد الحديث ما صنَّف «أبو زيد»([1]) رسالة لطيفة الحجم في المنظر، شريفة الفوائد في المَخْبَر، تجمع أصناف ما يُقتبَس من العلم والحكمة والتجربة في الأخبار والأحاديث، وقد أحصاها واستقصاها وأفاد بها، وهي حاضرة. فقال: احملها واكتبها، ولا تَمِلْ إلى البخل بها على عادة أصحابنا الغِثاث. قلتُ: السمع والطاعة.

ثم رويتُ أن عبد الملك بن مروان قال لبعض جلسائه: قد قضيتُ الوطر من كل شيء إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزُّهْر على التِّلال العُفْر.

وأحسن من هذا ما قال عمر بن عبد العزيز، قال: والله إني لأشتري ليلة من ليالي عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بألف دينار من بيت مال المسلمين. فقيل: يا أمير المؤمنين، أتقول هذا مع تَحَرِّيكَ وشدة تحفُّظك وتنزُّهك؟! فقال: أين يُذْهَب بكم؟ والله إني لأعود برأيه ونصحه وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف دنانير! إن في المحادثة تلقيحًا للعقول، وترويحًا للقلب، وتسريحًا للهمّ، وتنقيحًا للأدب.

قال: صدق هذا الإمام في هذا الوصف، إن فيه هذا كلَّه.

---

[1]) الراجح أنه يريد أبا زيد أحمد بن سهل البلخي، كان من المتكلمين الفلاسفة الأدباء

قلتُ: وسمعتُ أبا سعيد السيرافيَّ يقول: سمعتُ ابن السَّرَّاج يقول: دخلنا على ابن الرومي في مرضه الذي قَضَى فيه، فأنشدَنا قوله:

ولقد سئمتُ مآربي فكأنَّ أطيبها خبيثُ

إلَّا الحديثَ فإنه مِثلُ اسمه أبدًا حديثُ

وقال سليمان بن عبد الملك: قد ركبنا الفَارِه،([1]) وتبطَّنَّا الحسناء، ولبسنا اللَّيِّن، وأكلنا الطيب حتى أَجَمْناه،([2]) وما أنا اليوم إلى شيءٍ أحوجُ مني إلى جليس يضع عني مئونة التحفُّظ ويحدثُني بما لا يَمجُّه السمع، ويَطرَب إليه القلب. وهذا أيضًا حقٌّ وصواب، لأن النفس تَمَلُّ كما أن البدن يَكِلُّ. وكما أن البدن إذا كلَّ طلب الراحة، كذلك النفس إذا ملَّت طلبت الرَّوْح.([3])وكما لا بدَّ للبدن أن يستمدَّ([4]) ويستفيد بالجَمام([5]) الذاهب بالحركة الجالبة للنَّصَب والضجر، كذلك لا بدَّ للنفس من أن تطلب الرَّوْح عند تكاثُف المَلَل الداعي إلى الحرج، فإن البدن كثيف النفْس ولهذا يُرَى بالعين، كما أن النفس لطيفة البدن ولهذا لا توجد إلا بالعقل. والنفس صفاء البدن، والبدن كدَرُ النفس.

فقال: أحسنتَ في هذه الروايات على هذه التوشيحات، وأعجبني ترحُّمك على شيخك أبي سعيد فما كلُّ أحد يَسمح بهذا في مثل هذا المقام، وما كل أحد يأبه لهذا الفعل. هات مُلْحَة الوداع حتى نفترق عنها، ثم نأخذ ليلة أخرى في شجون الحديث.

---

[1]) الفاره من الدواب: النشيط الحادُّ القوي.

[2]) أجمناه: أي كرهناه ومللناه من المداومة عليه.

[3]) الروح بفتح الراء: الراحة.

[4]) يستمد : يستند

[5]) الجَمام بفتح الجيم: الراحة.

قلتُ: حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية، قال: رأيتُ جَحْظَة([1]) قد دعا بنَّاءً ليبني له حائطًا فحضر، فلما أمسى اقتضى البنَّاءُ الأجرة فتَماكَسا،([2]) وذلك أن الرجل طلب عشرين درهمًا، فقال جحظة: إنما عملتَ يا هذا نصفَ يوم وتطلب عشرين درهمًا؟! قال: أنت لا تدري، إني قد بنيت لك حائطًا يبقى مائة سنة. فبينما هما كذلك وَجَب الحائط وسقط، فقال جحظة: هذا عملك الحَسَن؟ قال: فأردتَ أن يبقى ألف سنة؟ قال: لا، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك! فضحك أضحك الله سنَّه!

مختارات من الكتاب :

هذا الكتاب الرائع يشمل على الكثير من الأمثال والأشعار والحكم، وسنتنقل بين أشجار هذا البستان، لنقطف من ثمره ما يحلو، ونختار ما يطيب ويزهو، ونتغلغل في معانيه، ونستفيد من مراميه، فنبتهج كما ابتهج الوزير، ويتعظ من لديه لب خبير، قصص وعبر، ومدح وهجاء، وحب وجفاء، وغير ذلك من المتع والاعتبار.

أراد أبو حيان أن يحمي نفسه فيما إذا تجاوز الحد في مخاطبة الوزير بأسلوب المخاطبة، فقال: (يؤذن لي بكاف المخاطبة، وتاء المواجهة، حتى أتخلص من مزاحمة الكناية، ومضايقة التعريض، واركب جدد القول من غير تقيَّة، ولا تحاش، ولا محاوبة، ولا انحياش).

---

[1]) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك الشاعر المعروف، كان من ظرفاء عصره وكان صاحب فنون ونوادر، وُلِد سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة، وتُوفِّي سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسط، ودُفِن ببغداد.

[2]) تماكسا: أي تشاحَّا في الأجرة، يقال: ماكسه في البيع ونحوه، إذا شاحَّه فيه واستحطَّه الثمن واستنقصه إياه.

وهو بهذا يريد أن يستخدم ألفاظاً وجملاً مثل الرد عليه بقول، (كلامك)، بدلاً من (رأيكم أعزكم الله)، ويسمح له بأن يقول مثلاً: (أنت قلت)، ولا بمثل قول: (ما جاد به لسانكم البليغ) أو نحو ذلك، فلا نفاق ولا تقية، ولا محاشاة للألفاظ والعبارات، يعني أن يأخذ راحته في الكلام بالعبارة الدارجة في هذا الزمان، فقال الوزير: (أنت مأذون فيه، ثم ذكر أن ذلك لا يرفع من قدر الإنسان، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد خاطبه الناس مباشرة دون تنميق، فيقال: يا عمر، ولم يأنف من ذلك، والرئاسة لا تكون حتى تصغو من شوائب الخيلاء، ومن مفاتيح الزهو والكبرياء).

تناول أبو حيان مسألة لغوية عندما فصل القول في معنى لفظة (عتيق) فهي على وجهين :

١- فأحدهما يشار به إلى الكرم والحُسن والعظمة، وهذا موجودٌ في قول العرب «البيتُ العتيق».

٢- والآخَر يشار به إلى قِدَم من الزمان مجهولٌ .

فأما قولهم «عبد عتيق» فهو داخل في المعنى الأول، لأنه أُكْرِم بالعتق وارتفع عن العبودية فهو كريم، وكذلك «وجه عتيق» لأنه أعتقتْه الطبيعة من الدَّمامة والقبح، وكذلك «فرس عتيق».

وقد تناول مسائل فلسفية كثيرة منها فلسفة الوجود التي خاض بها الكثير من الفلاسفة العرب المسلمون ليدحضوا ما جاء عنها من فلسفة اليونان والفرس والهند ، مستهلا بمسألة القديم والعتيق فقال : («نَعَم، العالَم عتيق ولكن ليس بقديم»، أي لو كان قديمًا لكان لا أول له، ولمَّا كان عتيقًا كان له أول، ومن أجل هذا الاعتقاد وصفوا الله تعالى بأنه قديم، واستحسنوا هذا الإطلاق.)